ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت
وانتفخت وقرئ ربأت اى ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج رائق وهذه دلالة ثالثة كررها
الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله
على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدا خبره بان الله هو الحق اى بسبب انه الثابت في نفسه
الذى به تتحقق الاشياء وانه يحيى الموتى والا لما احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل شىء قدير لان قدرته
لذاته الذى نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء
كلها وان الساعة آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلايعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى
وعده الذى لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله
ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحى او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد
بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثانى عطفه متكبرا وثنى العطف كناية عن التكبر كلى
الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اى مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج
من الهدى الى الضلالة وانه من حيث مؤداه كالغرض له في الدنيا خزى وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه
يوم القيامة عذاب الحريق النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اى يقال له يوم القيامة ذلك
الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم على اعمالهم
والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى يكون على طرف
الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روى انها نزلت
في اعاريب قدموا الى المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما
سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في دينى هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه
قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابى سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصايب فتشاءم بالاسلام فاتى النبى عم
فقال اقلنى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ
خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف
ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه
ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا يدعو لمن ضره بكونه
معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة اقرب من نفعه الذى يتوقع بعبادته وهو الشفاعة
والتوسل

والتوسل بها الى الله واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة
مقولا اجراء له مجرى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستانفة على ان يدعو تكرير للاول
ومن مبتدا خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له
ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله
في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن
فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا
او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس
مجاريه وقيل فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او
تحصيل رزقه فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما
يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذى يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر الله
لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات
وان الله يهدى ولان الله يهدى به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان
الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازى كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما
دخلت ان على كل واحد من طرفى الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شىء شهيد عالم به مراقب لاحواله
الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتابى عن تدبيره او يدل
بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف
كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل
واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص
المعنى المسند اليهم او مبتدا خبره محذوف يدل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر
اى يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير
تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحققين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما
بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح

Copyright © King Saud University